من أمجاد الإسلام

أسطول معاوية

للأستاذ محمود غنيم

بلغ أسطول معاوية زهاء ١٧٠٠ سفينة كاملة العدد والعدة ، وقد أخضع البحر الأبيض ووصل إلى أسوار القسطنطينية فحاصرها حيناً من الزمان .

لمن السفينُ يَلُحنَ كالأعلامِ ... فوقَ العُبابِ نواشرَ الأعلامِ (١)
يمخُرْنَ باسم الله موجَ غضارةٍ ... واسمِ الهدى ومبادىء الإسلام
يهتفْن بالتكبير لحناً شاجياً ... فتجيبُ أمواجُ الخضمّ الطامي
وَيثِبْنَ آونةً أسودَ عرينةٍ ... ويطرن آونةً حمامَ سلام
يُمطرن بالجزر الدماء . وربما ... كان الدمُ المَوّارُ صوبَ غمام
بعضُ الدمِ الموارِ ليس بمأثمٍ ... لكنه مُطهرٌ من الآثام

هذى سفينُ الله سارت عَبْلها ... متراميا في جحفل متراتم
لم تدفع الريحُ الهبوبُ قلاعها ... بل أقلعت بالوحي والإلهام
وحرارةِ الإيمان وهي حرارةٌ ... ما زادها الآذيُّ غيرَ ضرام
إن تَسْرِ فالجزرُ الحرامُ مباحةٌ ... أو تَرْسِ فالشطآنُ في استسلام

أزجى معاويةُ السفينَ تسيرُ أو ... ترسو بكل غضنفرٍ ضرغام
فكأن بحرَ الروم أصبح مُنبتاً ... بعد الفلا للغاب والآجام
بدم الشهادة خضبوه فضاع من ... أرجائه أرجُ العباب الدامي
جمحَ العبابُ فألجموه كأنما ... قبضتْ عليه أكفُّهم بزمام
جالت سنابك خيلهم في لُجّهِ ... تجولانها في مهمه وقتام
ولهم غوص صافيات صفوٌ ما ... بقراره من لؤلؤٍ وتُؤام
لله بحرُ الروم وهو بُحيرةٌ ... عربيةُ الشهوات والأرحام
ومعاقل اليونان وهي محاربٌ ... مكتظةٌ بالصُّوَّمِ القُوَّام
لله « رودس » إذ تُصيخُ « وقبرصُ » ... لصدى الأذانِ مرتّلَ الأنغام
خاض المياهَ كأنما هو حوتُها ... من كان يطوي البيد بالأقدام
ورعى البحارَ ومن يقيمُ بهن من ... أمم رعاةُ النوق والأغنام
حكم البحارَ فما طغى طغيانَها ... نفرٌ يُجيدُ العدلَ في الأحكام
حسروا ظلالَ الروم عن أمواجها ... فتحررت من ربقة الأعجام
تقدّوا إلى أسوار « قسطنطين » في ... عزم كحدِّ السيف غير كهام
ورموا معاقله وإن لم تستجب ... لسهامهم . تملت بعين الرامي
ألِمٌ عززن على الخليفة حقبة ... ثم استجبن على مدى الأيام (١)

محمود غنيم

(١) الأعلام الأولى : الجبال . والثانية : الرايات .

(١) لم يتمكن أسطول معاوية من فتح القسطنطينية . وإنما تم ذلك في عهد محمد الفاتح .